علمتني نملة

إنَّ الحكمة ضالَّة المؤمن، أينما وجدها فهو أولى بها، والحق يُلتمس في أيِّ موضع، ومن أي مخلوق مهما كان ضعيفًا، ولا عجب إذًا أن نتعلَّم الحق الذي أجراه الله على لسان أو أفعال أيِّ مخلوق، ولقد ذخَر القرآن بالحديث عن الحيوانات والحشرات، ونجد في تلك الآيات عبرةً وعظة نلتمسها لدى تلك المخلوقات الضعيفة، ويكفي أنَّ الله - تعالى - قد أنزل ذكرَها في كتابه المحكم الخالي من الحشو والكلام غير المفيد.

وإنَّ من تلك الآيات التي تتحدث عن الحشرات ولنا فيها عبرة وعظة، قصَّة النملة مع سيدنا سليمان - عليه السَّلام - وحريٌّ بنا أن نقف عند تلك القصة، ولا يستنكفَ أحدُنا أن يقول بعدها: علَّمتني نملة.

بين يدي القصة:

يقول الله - تبارك وتعالى - في كتابه الكريم: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) [النمل : 17]، فقد جمع الله لنبيِّه سليمانَ جيشًا عظيمًا يتألَّف من الجن والإنس والطَّير، فلا ريب أنَّه جيش كبير، فتخيَّل جيشًا بهذا العِظَم يمشي يطوي الأرض، لا ريب أنَّه سوف يحدث صوتًا يحول بين سليمان وبين الاستماع إلى الأصوات الدقيقة.

ولكنَّ سليمان قد التقطت أذناه صوتًا، ليس بصوت إنس أو جنٍّ، وإنما صوت نملةٍ، نملة؟ نعَم، نملةٌ، ألم يعلِّمْه الله - تعالى - لغة الحيوانات؟ قال الله - تعالى - على لسان سليمان: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) [النمل : 16].

فماذا قالت النَّملة إذ سمعها سليمان؟ قالت: (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) [النمل : 18].

كلماتٌ معدودة نطقت بها النَّملة، لكنَّها تحمل لنا دروسًا عظيمة، تستحقُّ أن يقول المرء بعد استخراج الدُّرر الكامنة في حديثها: علَّمتني نملة، فماذا علَّمتني النَّملة؟

الدرس الأول:

فرد قد يحيي أمة:

لقد علَّمتني النَّملة أنَّ على المرء ألاَّ يستقلَّ جهدَه الفرديَّ، فتلك النملة المعلمة واجهتْ أزمة عظيمة تجتاح أمَّتها بأسرها، خطر يَحيق بأمَّتها قد يستأصلها، فلم تبالِ النملة بأنها فرد واحد، ولم تسوِّغ لنفسها القعودَ بدعوى أنها فرد لن تغني شيئًا، فنادتْ قومها: (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) [النمل : 18].

وكم نحتاج إلى تعميق ذلك المنطق فينا، إنَّ مشكلة كبيرة تستولي على شبابنا؛ مشكلة التهوين من الجهود الفردية، مع أنَّ المستقرئ لآيات القرآن والسنة والسيرة والتراجم، يخلُص بحقيقة أنَّ الفرد الواحد قد يفعل الكثير والكثير، ألم يكن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فردًا حين بدأ دعوته المباركة التي سرَت في العالمين؟

ألم يكن من قبْله إبراهيمُ - أبو الأنبياء - فردًا حين دعا قومه إلى عبادة الله وحده؟

ألم يكن مصعب بن عمير فردًا حين وطَّد - وحده - دولة الإسلام في المدينة، فجاءها رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقد انتشرتْ في ربوعها دعوةُ الحق؟

ألم يكن أصحاب الاختراعات أفرادًا؟ ألم يكن ابن النَّفيس فردًا حين اكتشف الدَّورة الدموية؟ ألم يكن توماس إيدسون فردًا حين اخترع للعالم بأسره اختراعات عظيمة منها المصباح الكهربائي؟

ألم يكن "هيوستن" المحامي الأمريكي فردًا حين ذهب وحده إلى الولاية المكسيكية التي أرادت أمريكا ضمها، فجاءهم بعد سنوات بمفتاح المدينة؟

فالجُهد الفردي لا غنى عنه للأمة، ونحتاج - أكثر ما نحتاج - إليه في المرحلة الراهنة بعد الثورة المباركة؛ حيث إعادةُ بناء الأمة من جديد، تحتاج فيها الأمة إلى جُهد كل فرد فينا، فلا يستقلُّ المرء جهدَه الفردي، وهكذا علَّمتني النملة.

الدرس الثاني:

تقديم المصلحة العامة على الشخصية:

إنَّ هذه النملة قد عرَّضت نفسها للخطر؛ حيث إن أقدام البشر وخطواتِها تمثِّل بالنسبة للنمل عشَرات الأمتار، وهذا يعرِّضها حتمًا للخطر؛ خطر أن تسحقها أقدام الإنس أو الوحوش، لقد كان من المفترض في هذا الموقف أن تلوذ النملة بالفرار لا تلوي على شيء، ولكنها قد وقفتْ تنادي على أمَّة النمل تحاول إنقاذها، مقدِّمة في ذلك مصلحة أمتها على مصلحتها الشخصية.

إنَّ الأمة الإسلامية متعطشةٌ لهذه الرُّوح؛ رُوح التضحية من أجل مصلحة الأمة ولو كان على حساب المصلحة الشخصية، فلقد رفع الكثيرون شعار: أنا ومِن بعدي الطُّوفان، واستشْرت الأنانيَّة، وعشق الذات على حساب مصلحة الأمة ومصلحة المجموع، تلك الرُّوح التي كانت بين جنبات الإمام أحمد بن حنبل الذي حفظ الله به الإسلام أيَّام المحنة.

فلقد كان حول الخليفة سياجٌ من المعتزلة الذين ينفُون صفة الكلام عن الله، وقالوا: إنَّ القرآن مخلوق - والقرآنُ كما عليه أهل السنَّة والجماعة هو كلام الله غيرُ مخلوق - فتأثَّر بهم الخليفة، وامتحن النَّاس على خلق القرآن، فمن قال: إنَّه مخلوق، خلَّى سبيله، ومن قال بأنه كلام الله ليس بمخلوق، عذَّبه وسجنه حتى يُقر بما يريد.

فقبل العلماء الرُّخصة وقالوا تقيةً: إنَّ القرآن مخلوق، إلا الإمام أحمدَ، الذي رفض أن ينجوَ بنفسه، ثم يتركَ الاعتقاد الفاسدَ ينتشر بين الناس، ولمَّا نصحه بعض العلماء بالتقية، أمرهم أن ينظروا خارج الدار، فإذا بالألوف من الناس يُمسكون بالأقلام والمحابر؛ لكي يدوِّنوا ما يقول الإمام أحمدُ في القرآن، فقال: "إذا تكلَّم العالم تقيةً والجاهل يجهل، فمتى يُعرف الحقُّ؟".

وثبَت الإمام ثبات الجبال، حتى قال أحدُ جلاَّديه: "لقد ضربتُ الإمامَ مائة سوطٍ، لو كانتْ على فيلٍ لبرك"، فثبتَ وآثَر مصلحة الأمة على مصلحته الشخصية، حتى أتاه الفرجُ من ربِّه، ورفع الله في العالمين ذكرَه.

فما أحوجَنا لتلك الرُّوح! إننا بحاجة إلى اقتلاع جذور الفساد، وغرس بذور الصَّلاح في تربتنا الحبيبة، نريد قلوبًا تنبض بحبِّ الوطن، تحافظ عليه، تنظر إلى مصلحة الأمة، وتوطِّن النَّفس على السَّعي الحثيث في تلك المصالح العامة، وهكذا علَّمتني النملة.

الدرس الثالث:

الانشغال بالجهد، لا بتوقع النتائج:

لقد ضربتْ لنا النملة مثالاً فريدًا في الاهتمام والانشغال بالجهد دون التركيز على النَّتائج المحتملة، وهذا لعمري سمْتُ الأنبياء في الدعوة إلى الله - تعالى - فهم يوظِّفون طاقاتهم في بذل الجهد، فعليه مدار الثَّواب والعقاب، وليس النتيجة، والتقصير إنما يأتي من ناحية الجُهد وليس النتائج، وإلا اتهمْنا أنبياءَ الله بالتقصير، فإنَّ منهم من لم يؤمن به سوى بضع من البشر، ومنهم من لم يؤمن له أيٌّ من البشر، قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((عُرضت عليَّ الأمم؛ فجعل يمر النبيُّ معه الرجل، والنبيُّ معه الرجلان، والنبيُّ معه الرَّهط، والنبيُّ ليس معه أحدٌ))، وحاشا لله أن يقصِّر أنبياءُ الله في الدعوة إليه.

وهذه النَّملة لم تسأل نفسها مثلاً: وهل يُغني صوتي الضعيف أو ينفع بشيء؟ هل عساه يصِل إلى جموع النمل الغزيرة فيحذِّرَها؟ هل سأتمكن من تحذيرهم قبل فوات الأوان؟

لم يكن همُّها لينصرفَ إلى احتمال النتائج، وإن كانت تفرض نفسَها لا محالة، ولكنَّ الانشغال ببذل الجُهد واستفراغ الوُسع في طلب المصلحة أولى وأعظمُ من تضييع الوقت في توقُّع النتائج، وفي ذلك يُطلُّ علينا حديث عظيم لرسول الأنام - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((إن قامت السَّاعة وبيَد أحدكم فَسيلةٌ، فاستطاع ألاَّ تقوم حتى يغرسَها، فليغرسْها؛ فله بذلك أجرٌ)).

فالحديث يُفيض علينا بغيث الفوائد، والتي من جملتها: أهمِّية النظر إلى الجُهد دون انتظار النتائج والركون إلى توقع النتائج بصورة مبالغ فيها على حساب الجُهد والعمل، وهكذا علَّمتني النملة.

الدرس الرابع:

تقديم الحلول العملية:

إن الملاحَظ على مسلك النملة أنها لم تحذِّر فقط، ولكنها قدَّمت الحل العمليَّ الذي يريح الأمة من عناء التفكير في المخرج من المآزق: (ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ) [النمل : 18]، فإنَّها لم تطلقْ صيحات التحذير وتكتفِ بهذا الإنجاز، بل قدمتْ لهم حلاً عمليًا، وهو الدخول إلى المساكن، وهذا - كما رأت النملة - الحلُّ الأمثل نظرًا؛ لأن الفرارَ إلى أيِّ جهة على سطح الأرض يفوِّت على النمل الفرصة في النجاة أمام هذه الجحافل العسكرية القادمة، فقدَّمت حلاً سريعًا سهلاً يتلاءم وطبيعة النمل وإمكاناتِها.

إن تقديم الحلول العملية للأمة هو الأمر العظيم الذي يفتقر إليه كثير من الدُّعاة، فمن اليسير أن تعظ الناس وتحثَّهم على الإيمان والطاعة والالتزام بشرع الله، لكن ذلك وحده لا يكفي، لا بدَّ من تقديم حلول عملية مع الحلول الإيمانية.

ولقد كان للإعلام المُغرض دورُه في الترويج لفكرة أنَّ الدعاة من أهل السنة لا يملكون تقديم حلول عملية للأمَّة بينما يجدونها بحوزة العَلمانيين، وفي أحد الأفلام القديمة الشهيرة، لجأ اللِّص الذي يفر من الظروف الصعبة التي مر بها وجعلتْ منه مجرمًا، لجأ إلى شيخ يتعبد في زاويته، وطلب منه تقديم حلٍّ للخروج مما هو فيه، فإذا بالشيخ لا يزيد على أن يقول له: توضَّأ وصلِّ، أراد الإعلام بذلك أن يبثَّ اليأس في نفوس الناس من أنَّ أهل الصلاح لا يملكون لحل الأزمات سوى الأمر بالصَّلاة وتلاوة القرآن.

ولم يكن هذا هو هديَ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - ولا صحابتِه الكرام؛ فعن عمرَ - رضي الله عنه - أنَّه رأى إبلاً جرباءَ فسألهم: ماذا تصنعون لعلاج هذه الإبل؟ قالوا: عندنا عجوزٌ صالحة نذهب إليها فتدعو لها! فقال - رضي الله عنه -: اجعلوا مع دعاء العجوز شيئًا من القطِران.

فعلى الدعاة إلى الله الانصهارُ مع مجتمعاتهم، وعدمُ الاقتصار على الكلام النَّظري، وإنما يُشفَع بتقديم حلول عملية؛ فإذا ما تكلم الدَّاعية عن العمل وقيمته في الإسلام، ونبْذ البطالة، فعليه أن يقترح على العاطلين حلولاً عملية تتجلى مثلاً في اقتراح مشروعات يسيرة صغيرة في متناوَل الناس، فهذا هو منهج الإسلام الصَّحيح في التعامل مع مشاكل الناس في المجتمع الإسلامي، وهكذا علَّمتني النملة.

الدرس الخامس:

حسن الظن:

دقَّق النظر في كلمات النملة: (لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) [النمل : 18]، لقد قدَّمت حسن الظن بسليمانَ وجيشِه؛ لأنَّ النمل صغير جدًا لا يكاد أحد يمشي على الأرض يلتفت إليه أو يجذب النملُ انتباهَه، فكونُها في ذلك الموقف العظيم الخطر تُحسن الظن وتَزيد على كلمات التحذير تلك الجملة، فلا ريب أنَّ هذا منطقٌ بالغُ الأهمية أراد القرآن بيانَه للناس.

وحريٌّ بنا - نحن المكلَّفين - أن نمتثل لأمر الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات : 12]، إننا بحاجة إلى التخلُّص من أسْر الحُكم على النِّيات واتهامِها، بحاجةٍ إلى إجراء الأحكام على الظاهر؛ كما أجمع على ذلك أهل العلم، بحاجةٍ إلى مدافعة الخواطر الرديئة في النفس والتي تَزيد من اشتعالها تجاه المسلمين، بحاجةٍ إلى التماس الأعذار

وتأويل السيِّئات على الوجه الحسن إن كانت تحتمل، بحاجةٍ إلى الكفِّ عن التفتيش في قلوب الناس والبوْح عن سرائرهم بالظن والتخرُّص.

وكثيرًا ما حذَّر الإسلام من سوء الظن، قال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((إيَّاكم والظنَّ؛ فإن الظنَّ أكذبُ الحديث))، وقال الفاروق عمرُ بنُ الخطاب - رضي الله عنه -: "لا تظنَّ بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرًا وأنت تجد لها في الخير محملاً".

ويقول ابنُ سِيرين - رحمه الله -: "إذا بلغك عن أخيك شيءٌ، فالتمس له عذرًا ، فإن لم تجدْ، فقل: لعلَّ له عذرًا لا أعرفُه".

وانظر إلى الإمام الشافعي - رحمه الله - حين مرض وأتاه بعض إخوانه يعوده، فقال للشافعي: قوَّى الله ضعفَك، قال الشافعي: لو قوَّى ضعفي لقتلني، قال: والله ما أردتُ إلا الخيرَ! فقال الإمام: أعلمُ أنك لو سببتني ما أردتَ إلا الخيرَ.

فهذه الرُّوح لا بدَّ أن تسودَ بيننا؛ حتى نكونَ على قلب رجلٍ واحد، فحُسن الظن بالآخرين خُطوة عظيمة سديدة على طريق حلِّ الخلافاتِ بين المسلمين، وهكذا علَّمتني النملة.

1- النهي عن تعذيب الدواب:

أ- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺقال: ((عذبت امرأة في هرة؛ حبستها حتى ماتت جوعًا فدخلت فيها النار))، قال: ((لا هي أطعمتها ولا سقتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض)) رواه البخاري.

وخشاش الأرض هي هوام الأرض وحشراتها.

وفي هذم الحديث الحث على الرفق بالحيوان وتحريم حبسه وإجاعته، وفيه أيضًا جواز إمساك ما يقتنى من الحيوان بشرط القيام بكفايته.

ب- وعن أنس رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺأن تُصْبَرَ البهائم. متفق عليه.

ومعنى تصبر أي: تحبس للقتل، قال العلقمي: أن يمسك الحيّ ثم يرمَى بشيء حتى يموت. وفيه تحريم مصارعة الثيران وما شابهها.

ج- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطِئة من نَبْلِهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺلعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرَضًا. متفق عليه.

والغرض هو الهدف، والحديث يصرح بأن تعذيب الحيوان بدون سبب شرعي من الكبائر؛ لأنه يجلب اللعنة على فاعله، وفيه أيضا تحريم مصارعة الثيران وما شابهها.

د- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأى رسول الله ﷺحمارًا مَوسوم الوجه فأنكر ذلك وقال: ((فوالله، لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه))، فأمر بحمار فكُوي في جاعِرَتَيه، فهو أول من كوى الجاعرتين. رواه

مسلم.

والجاعرتان: ناحية الوركين حول الدبر، ووسم الوجه هو كي الوجه لتعليم الحيوان وتمييزه.

هـ- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺمر على حمار قد وسم في وجهه فقال: ((لعن الله الذي وسمه)) رواه مسلم. وفي رواية لمسلم: نهى رسول الله ﷺعن الضرب في الوجه وعن الوَسْم في الوجه.

فالوجه لطيف يجمع المحاسن والحواس، ووسمه أو ضربه يؤدي إلى تعطيل الحواس وتشويه الوجه، والنهي هنا عام يشمل الإنسان والحيوان.

2- تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حتى في أثناء المعارك:

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺفي بَعْثٍ فقال: ((إن وجدتم فلانًا وفلانًا فاحرقوهما بالنار))، ثم قال رسول الله ﷺحين أردنا الخروج: ((إني كنت أمرتكما أن تحرقوا فلانًا وفلانًا، وإن النار لا يعذبُ بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما)) رواه البخاري.

وفيه النهي عن الإحراق بالنار حتى مع الأعداء.

ب- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺفانطلق لحاجته، فرأينا حُمّرَة معها فرخان، فأخذنا فرْخَيها، فجاءت الحُمَّرَة فجعلت تَفْرش، فجاء النبي ﷺفقال: ((من فجع هذه بولدها؟ ردّوا ولدها إليها))، ورأى قرية نمل قد حرقت فقال: ((من حرَّق هذه؟)) قلنا: نحن، قال: ((إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار)) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

والحُمَرَة: طائر صغير كالعصفور. وقوله: ((من فجع)) أي: من أصاب الطائر بفقد ولدها.

وفيه النهي عن تعذيب الطيور وأخذ أولادها.

وفيه النهي عن إحراق النمل والحشرات بالنار، أما إحراق البيت الخالي من النمل فغير منهي عنه.

3- تحريم لعن الدواب:

أ- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺفي بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة، فضَجِرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺفقال: ((خذوا ما عليها ودعوها؛ فإنها ملعونة))، قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد. رواه مسلم.

وفيه الصبر على الحيوان والإحسان في معاملته.

ب- وعن أبي برزة نضلة بن عبيد رضي الله عنه قال: بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بَصُرت بالنبي ﷺوتضايق بهم الجبل، فقالت: حَل، اللهم العنها، فقال النبي ﷺ: ((لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة)) رواه مسلم.

و(حَل) كلمة لزجر الإبل.

ومعلوم أنه لا سائبة في الإسلام، والنهي هنا فقط في عدم صحبة الناقة، أما بيعها أو ركوبها أو ذبحها فهو جائز، والسائبة عند العرب هي أن يقول الرجل: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة ويحرم ركوبها، ولا تطرد عن الماء ولا المرعى، وقد أبطله الإسلام.

4- تحديد الإسلام وظيفة الكلب وإعلاء شأن كلاب الصيد وحراسة المزارع والبيوت والمواشي:

أ- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: ((من اقتنى كلبًا إلا كلب صيد أو ماشية نقص من أجره كل يوم قيراطان)) متفق عليه.

اقتنى من القُنْية وهي اتخاذ الشيء للتجارة.

ب- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أمسك كلبا فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية)) متفق عليه، وفي رواية لمسلم: ((من اقتنى كلبًا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم)).

وكلب الأرض هو كلب حراسة البيوت والمزارع.

ونقص القيراط يكون لأهل البوادي، أي: الصحراء والجبال وما شابهها، أما نقص القيراطين فلأهل المدن لقلة حاجتهم نسبيًا للكلاب، وذلك إذا فقدت الكلاب وظيفتها عندهم.

وفي الحديثين بيان وظيفة الكلب في الإسلام، وفيهما النهي عن اتخاذ الكلاب للزينة.

5- حث النبي ﷺالناس على تطييب علف الحيوانات بأن نهى عن ركوب البعير أو الناقة التي تأكل العَذِرَة حتى تطهر:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺعن الجَلاَّلَة في الإبل أن يركب عليها. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فالنبي ﷺيأمر بتطييب العلف حتى يطيب اللحم، وانظروا ماذا فعل عباقرة جنون البقر عندما لوّثوا العلف.

6- وظيفة الديك في الإسلام:

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تسبّوا الديك؛ فإنه يوقظ للصلاة)) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

يحث النبي ﷺالمسلمين بعدم التضجر من صياح الديكة لأنها توقظ النائم للصلاة.

7- وظيفة البقر في الإسلام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها، فالتفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! ـ تعجبًا وفزعًا ـ أبقرة تكلم؟!)) فقال رسول الله ﷺ: ((فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر)) أخرجه مسلم في صحيحه.

8- من ركب دابة في سفر كيف يسير بها؟! وكيف يطعمها أثناء السير وعند الاستراحة؟!:

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا سافرتم في الخِصْب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في السَّنَة ـ أي: الجدب ـ فأسرعوا عليها في السير، وإذا عرَّستم فاجتنبوا الطريق، فإنها مأوى الهوام بالليل)) رواه مسلم.

التعريس أي: النزول بالليل، والخِصب من أخصب المكان إذا نبت فيه العشب والكلأ.

اجتنبوا الطريق أي: لا تنزلوا فيها، واعدلوا عنها، فإنها مأوى الهوام

أي: تلجأ إليها الحشرات والأفاعي وتسكن فيها.

وفي الحديث الرفق بالحيوان وذلك بإعطائه حظه من المرعى عندما يشاهد الكلأ والعشب ويمر عليه، وعدم إطالة الوقت عليه في أماكن لا يستطيع أن يأخذ فيها حظه من المرعى.

ب- وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا إذا نزلنا منزلاً لا نُسَبِّح حتى نُحل الرحال. رواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم.

لا نسبح أي: لا نصلي النافلة، أي: مع حرصنا على الصلاة لا نقدمها على حطّ الرحال وإراحة الإبل.

وفي الحديث كراهة ترك الأمتعة على ظهر الدواب أثناء الاستراحات.

9- قصة الجمل الباكي:

عن أبي جعفر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه وأسرّ إلي حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحبّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل ـ يعنى حائط نخل ـ، فدخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى رسول الله ﷺ جَرْجَر وذرفت عيناه، فأتى النبي ﷺ فمسح سَرَاتَه ـ أي: سنامه وذِفرَاه ـ فسكن، فقال: ((من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟)) فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله، قال: ((أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟! فإنه يشكو إلى أنك تُجيعه وتُدْئِبه)) رواه أبو داود.

ذفراه أي: خلف الأذن، جرجر أي: ردد صوتًا في حلقه.

وفي الحديث جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك.

والدواب نعمة من الله يجب شكره عليها، وذلك بإطعامها والرفق بها.

وفيه استحباب إرشاد الناس إلى الإحسان لمخلوقات الله تعالى.

10- الوفاء مع الحيوان:

أ- عن عمران بن حصين قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل, فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل وأصابوا معه العَضْباء، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد، فأتاه فقال: ((ما شأنك؟)) فقال: بم أخذتني؟ وبم أخذت سابقة الحاج؟ فقال إعظامًا لذلك: ((أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف))، ثم انصرف عنه فناداه: يا محمد يا محمد، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رقيقًا فرجع إليه فقال: ((ما شأنك؟)) قال: إني مسلم، قال: ((لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحتَ كلّ الفلاح))، ثم انصرف فناداه: يا محمد يا محمد، فأتاه فقال: ((ما شأنك؟)) قال: إني جائع فأطعمني وظمآن فاسقني، قال: ((هذه حاجتك))، ففدي بالرجلين.

قال: وأسرت امرأة من الأنصار وأصيبت العَضْباء، فكانت المرأة في الوثاق، وكان القوم يريحون نَعَمَهُم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق، فأتت الإبل فجعلت إذا دنت من البعير رَغا، فتتركه حتى تنتهي إلى العضباء، فلم تَرْغُ قال: وناقة منوقة، فقعدت في عَجُزها ثم زجرتها فانطلقت، ونَذِرُوا بها فطلبوها فأعجزتهم. قال: ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ فقالت: إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال: ((سبحان الله! بئس ما جَزَتْها، نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها! لا وفاء

لنذرٍ في معصية ولا فيما لا يملك العبد)) رواه مسلم في صحيحه.

سابقة الحاج هي العضباء لأنها كانت لا تُسبق. بجريرة حلفائك أي: جريمة حلفائك. أفلحت كل الفلاح أي: لو كنت مسلمًا قبل أسرك لم يجز أسرك أو أخذ مالك. نعمهم أي: بهائمهم. رغا أي: أحدث صوتًا. ناقة منوقة أي: مذللة. عجزها أي: مؤخرتها. نذروا بها أي: أحسوا بها.

وفي الحديث الحث على عدم إهمال الدواب، والعناية بها حتى أثناء المعارك.

ب- وعن سهل بن عمرو وقيل: سهل بن الربيع بن عمرو الأنصاري المعروف بابن الحَنْظَلِيَّة وهو من أهل بيعة الرضوان رضي الله عنه قال: مرّ رسول الله ﷺببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: ((اتقوا الله في هذه البهائم المُعْجَمَة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة)) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

البعير هو ذكر أو أنثى الإبل. المعجمة أي: الصامتة التي لا تتكلم فتفصح عن ألمها. صالحة أي: صالحة للركوب أو صالحة للطعام.

وفي الحديث الرفق بالحيوان والدواب، وعدم إرهاقها لأنها تتألم ولا تتكلم.

11- الإحسان إلى الحيوان يدخل الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثَّرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ منى، فنزل البئر فملأ خُفَّه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رَقِي، فسقى الكلب فشكر الله له وغفر له))، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في هذه البهائم لأجرًا؟! فقال: ((في كل كبد رطبة أجر)) متفق عليه. وفي رواية للبخاري: ((بينما كلب يُطِيف برَكِيَّة قد كاد يقتله العطش إذ رأته بَغِي من بغايا بني إسرائيل فنزعت مُوقها فاستقت له به, فسقته إياه فغفر لها به)).

يلهث أي: يخرج لسانه من العطش. الثرى أي: التراب الندي. كبد رطبة أي: رطوبة الحياة. مُوقها أي: خُفَّها.

وفي الحديث فضل الإحسان إلى مخلوقات الله، وأنها سبب للمغفرة. وفي الحديث أيضا فضل سقي الماء إذا زاد عن حاجة الإنسان وعن حاجة العيال والماشية، وأن هذا من أفضل القربات إلى الله.

12- لماذا يذبح المسلمون الحيوان من العنق؟

الذبح من العنق هو أنجح وسيلة للإجهاز السريع على الحيوان بغير تعذيب ولا تمثيل، إذ إنه من الثابت علميًا أن الرقبة حلقة الوصل بين الرأس وسائر الجسد، فإذا قطع الجهاز العصبي شُلت جميع وظائف الجسم الرئيسية، وإذا قطعت الشرايين والأوردة توقف الدم عن تغذية المخ, وإذا قطعت الممرات الهوائية وقف التنفس، وفي جميع هذه الحالات تنتهي الحياة سريعًا.

ولما كانت المحافظة على صحة الإنسان من مقاصد الشرع الخمسة فطريقة الذبح الإسلامية توصل لهذا الغرض، فبعد ذبح الحيوان تبدأ حركة الرجلين العنيفة بعد الذبح بطرد كمية كبيرة من الدم خارج الجسم, فما خطورة الدم؟

الدم هو المجرى الذي تلقى فيه مواد الأيض أو التمثيل الغذائي كلها،

ففيها ما هو مفيد وما هو ضار مؤذي، والكائنات المتطفلة في الجسم تفرز سمومها في الدم، ناهيك عن وجودها في الدورة الدموية في بعض مراحل تطورها، ولهذا فالدم غذاء محرم في الإسلام.

13- آداب الذبح في الإسلام:

أن يكون الحيوان من البرِّيات وله دم، أن يكون مما يؤكل لحمه، أن يكون الذبح لمصلحة شرعية كالطعام وليس للإتلاف، أن يذكر اسم الله عليه، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:121]، ويستثنى من ذلك الناسي أو العاجز عن التسمية.

لا فرق بين الرجل والمرأة في الذبح، ولا بين البالغ والصبي، ولا أعمى ولا مبصر.

حد الشفرة بعيدًا عن الحيوان حتى لا يقتل الحيوان مرتين. ولا تذبح شاة أمام الأخرى لنفس السبب.

يسقى الحيوان بعض الماء ثم يساق إلى المذبح برفق، ويوضع على جنبه برفق، عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺقال: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرته، وليُرِحْ ذبيحته)) رواه مسلم.

ولا يحل الذبح بحجر يُرمى به، ولا يحل الذبح بالسِّن أي: الأسنان، ولا بالظفر. روى البخاري ومسلم عن رافع بن خديج رضي الله عنه أن جده قال: يا رسول الله، إنا نرجو أو نخاف أن نلقى العدو غدًا وليست معنا مُدى، أفنذبح بالقصَب؟ فقال رسول الله ﷺ: ((ما أنْهرَ الدم وذُكر اسم الله عليه فكلوا، ليس السِّن والظُّفر، وسأخبركم عن ذلك: أما السن فعَظْم، وأما الظُّفر فمُدَى الحبشة)).

يجوز الذبح بالمعادن أو الخشب المحدد أو القصب أو الزجاج أو الحجر الحاد, أما العظام والأسنان فمنهي عنه.

ويستحب أن تذبح الإبل قائمة لما رواه البخاري ومسلم أن ابن عمر رضي الله عنهما أتى على رجل وهو ينحر بدنته باركة فقال: ابعثها قيامًا مُقيَّدَةً سنة نبيكم ﷺ.

وتذبح البقر والغنم مضجعة لا قائمة لما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺضحى بكبشين أقرنين أملحين، ذبحهما بيده، ووضع رجله على صِفاحِهما، وسمَّى وكبر.

ويستحب توجيه الحيوان إلى القبلة.

ويستحب قطع الحلقوم والمريء والوريدين؛ لأنه أروح للذبيحة.

ويستحب أن لا يكسر عنق الحيوان أثناء الذبح، ولا يسلخ جلدها حتى تبرد، ولا تفصل الرأس قبل أن يبرد الحيوان، ولا يذبح الحيوان من القفا.